

بعض المسائل التي تستوقف المترجم

د/ محمد الشريف بن دالي - حسين

جامعة الجزائر 2 (معهد الترجمة)

لا ريب في أن لجورج مونان¹ فضل السبق في التطرق إلى المشاكل التي تقف حجر عثرة في وجه المترجم الذي يتعامل مع نصوص متنوعة، وأساليب مختلفة، ومستويات لغة متعددة. فقد تعرض للدراسات التي سلّمت بإمكانية الترجمة دون أن يهمل الدراسات الأخرى التي ترى أن الترجمة عملية مستحيلة.

ونحن نرى، من خلال تجربتنا المتواضعة في الميدان أن الصعوبات الأولى التي تعترض سبيل المترجم في أداء مهمته الشاقة ناجمة عن المسائل الآتية التي قد لا ينتبه إليها خاصة إن كان مبتدئاً:

1. اللبس.
 2. عبقرية اللغة.
 3. الزاد المعرفي.
 4. بنية نص المصّب وبنية نصّ المصدر.
 5. اللجوء إلى الاقتراض.
 6. الإضافة والحذف.
 7. عطف "لن" على "لم".
 8. رؤية العالم المختلفة.
 9. كلمات لا مقابل لها في اللغة الأخرى.
- وعلينا أن نعود إل كل نقطة من هذه النقاط لنشرحها معتمدين في ذلك على مثال حيّ على الأقل، كل مرة:

1. اللبس:

فالمشكل الأوّل المطروح يتمثل في تعريف لفظ "لبس" الذي قد يخلط بينه وبين لفظ الغموض. ولو عدنا إلى المنجد في اللغة والأعلام لعرفنا أن اللبس (L'ambiguïté) يعني "الشبهة والإشكال وعدم

الوضوح"، وأن الغموض من غمض يغمض غموضاً، و"غموض الكلام: ما خفي مأخذه ومعناه"، فهو غامض (vague – imprécis – Flou). فالغموض يقابل لفظ: « inintelligibilité » (عدم فهم لوحة زيتية مثلاً)، أو « Imprécision » التي تعني بالعربية من بين ما تعنيه "عدم الوضوح" كذلك. وهذا ما أدى إلى الخلط بين الكلمتين. ولكن الأمثلة القادمة ستوضح الأمور لأن اللبس مفهوم دقيق جداً. ويرى إيرين. ف. سبيلكا (Irène. V. Spilka) أن "اللبس ميزة تمتاز بها بعض الأقوال تجعلها تتقبل أكثر من تأويل".² ونحن نرى أن الألفاظ والجمل المنفصلة عن النص من شأنها أن تصبح ذات معان عديدة، ويأتي اللبس نتيجة لذلك:

ولنتأمل الجملة الفرنسية الآتية:

- Je suis membre d'une société.

إن أول ما نلاحظه هو أن هذه الجملة منفصلة عن أي نص، وأن الكلمة الأخيرة فيها (société) تدل على "مجتمع" و"شركة" في آن واحد. وفي هذه الحال يلتبس الأمر على المترجم، فيجد نفسه حائراً في نقل هذه الجملة إلى العربية. واللبس هنا، ناتج عن تعدد معاني المفردات العربية التي تقابل كلمة société، فلو نقلت هذه الجملة إلى الفرنسية على النحو التالي: "إني عضو في مجتمع" وصاحب الجملة يقصد "إني عضو في شركة" لكان الخطأ فادحاً.

وما دام اللبس مطروحاً في الترجمة، فلا بد من إيجاد طريقة لتسوية المشكل، والطريقة التي نتبناها هي تلك التي أشار إليها جان مايو³ (Jean Maillot) والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1. محاولة رفع اللبس بالاستعانة بالمقام والسياق.
2. في حالة الإخفاق، إعادة نقل اللبس في لغة المصنّف.
3. عند استحالة رفع اللبس، الابتعاد، دونما تردد، عن لغة المصدر مقابل ما يعرف في علم الترجمة "بالحذف".

ومهما يكن من أمر، فإنه لا بدّ من التمييز بين اللبس (L'ambiguïté) والغموض (أو الإبهام) الذي يعتبر نوعاً من أنواع اللبس ويعرّفه جورج مونان في قاموسه⁴ على النحو التالي:

"الغموض (L'amphibologie) يتولد عن لبس تراكيبي (Syntaxique) أو دلالي (sémantique) متعلق بعدم مهارة، ونتيجة لذلك، يصبح معنى القول غامضاً"⁵، نحو:

Vendre une bicyclette pour une fille qui n'a jamais servi.⁶

والقارئ الذكي (أي المترجم) يدرك جيداً أن الدراجة هي التي لم تستخدم قط. فالخطأ يكمن في نهاية الجملة. ويمكن لنا أن نتحدث عن لبس ظاهر، وعن لبس مصطنع (fausse ambiguïté).

وها هي ذي بعض الأمثلة عن الغموض⁷ (Amphibologie):

حرفياً: (مدارس لبنات عمومية): Ecoles de filles publiques.

فالخطأ الناجم عن عدم المهارة يكمن في وضع « publiques » (عمومية) بعد « filles » (بنات) بدلاً من وضعها بعد (Ecoles) (مدارس).

حرفياً: (مدرسة محرومة من الذكور): Ecole privée de garçons.

فلو ترجمناها حرفياً لعدم المهارة لجعلنا المدرسة مخصصة للبنات.

والأمثلة أعلاه تتدرج فيما يعرف باللبس المصطنع. ويحسن بنا أن نتحدث عن اللبس الحقيقي. ولنبدأ بما يسميه فالانتان غارسيا يربا (Valentin Garcia Yerba) « l'ambiguïté morphologique » (اللبس الصرفي) الذي ينشأ من استعمال كلمات مشتركة الجنس (épicènes). وفي جميع اللغات توجد كلمات مشتركة الجنس، ومن ذلك "زوج" في اللغة العربية، ونعني بذلك الزوج أو الزوجة، و « cook » في الإنجليزية ويقابلها طبّاخ (طباخة) أو طاه (طاهية) بالعربية و (cuisinière – cuisinier) بالفرنسية، وكلمة "شخص" في اللغة العربية تطلق على الذكر والأنثى، كما أن كلمة « personne » بالفرنسية تعني الأنثى والذكر كأن يقول الفرنسي:

- Cinq personnes sont blessées.

(جرح خمسة أشخاص)

- C'est une jolie personne.

(إنها امرأة جميلة).

وتشير إيرين سبيلكا إلى أمثلة أخرى عن اللبس في الفرنسية، من ذلك قولها:

- vous connaissez tous les effets de ces mesures.

(إنكم تعرفون (جميع) (أو) (جميعاً) آثار هذه التدابير).

فهل كلمة « tous » في هذه الجملة الفرنسية، تعتبر في المكتوب نعتاً (adjectif qualificatif) أم صفة مبهمه (adjectif indéfini)، وإنه ينبغي للمرء ألا يتلفظ بهذه الكلمة عند القراءة بنفس الطريقة. ويبدو أن الفرق بين في المنطوق، غامض في المكتوب.

ونستخلص ممّا سبق أن المترجم قد يجد نفسه بالفعل أمام مشكل من مشاكل اللبس. فعليه أن يتروى حتى لا يخطئ لأن كلمة « tous » تكتب بنفس الطريقة سواء كانت نعتاً أو صفة مبهمه، ونحن نرى أن المقام والسياق بإمكانهما إسعاف المترجم.

2. عبقرية اللغة:

على المترجم أن يدرك أن لكل لغة عبقريتها. وسنوضح ذلك من خلال المثالين الآتيين:

- Le moment n'est-il pas venu pour que nous tracions les grandes lignes de notre projet.

يمكن أن تنقل هذه الجملة إلى العربية نقلاً حرفياً على النحو التالي:

ألم يحن الوقت لرسم الخطوط الكبيرة لبرنامجنا (أو لرسم خطوط برنامجنا الكبيرة)، غير أنّ علم الترجمة (traductologie) يذكرنا بأن المترجم في حاجة ماسة إلى المعلومات المعرفية. ويقصد بالمعلومات المعرفية تلك المعلومات التي سبق للمترجم أن اكتسبها بفضل التعليم بجميع أطواره أو التي اكتنّزتها ذاكرته من خلال المطالعة والتجارب ومجالسة من هم أكبر منه سنّاً وأغزر منه علماً، الخ...

وهذه المعلومات المكتسبة (les éléments cognitifs) هي التي تطلق عليها دنكا سلسكوفيتش (Danica Séleskovitch) ومريان لوديرير (Marianne Lederer) مصطلح (le bagage cognitif)⁸ ، أي الزاد المعرفي.

وعليه فإنه يمكن لنا أن نسترشد بزدانا المعرفي الخاص المتمثل في آية من آيات القرآن الكريم. وهذه الآية من سورة الحديد يقول فيها عزّ من قائل:

[ألم يان للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون).⁹

وترجم سفاري (Savary) هذه الآية على النحو التالي:

« Le moment n'est-il pas venu pour que les fidèles se soumettent humblement à l'instruction divine, à la vérité descendue du ciel, afin qu'ils ne ressemblent pas à ceux qui reçurent les écritures ? On les a attendus, leurs cœurs se sont endurcis, et la plupart se sont abandonnés à l'iniquité »¹⁰.

ونحن ننقل جملتنا الفرنسية السابقة بتوظيف قليل من زادنا المعرفي على النحو التالي: ألم يان لنا أن نرسم خطوط برنامجنا العريضة؟ وعلينا أن نعمن النظر في العبارة « les grandes lignes » الواردة في الجملة الفرنسية، لندرك أن الفرنسيين يستخدمون عبارة تختلف عن العبارة التي يستخدمها العرب. فنستخلص أن عبقرية اللغة العربية تتطلب استخدام العبارة الآتية: "الخطوط العريضة"، في حين أن عبقرية اللغة الفرنسية تقتضي استعمال "الخطوط الكبيرة". ولمزيد من التوضيح، نورد مثالا آخر:

- La crise est passagère.

إن ما يلاحظ، بادئ ذي بدء، هو أن كلمة « crise » في الفرنسية تطلق على الأشياء المادية كما تطلق على الأشياء الحسية، ومن ذلك، قول الفرنسيين:

- La crise économique est passagère.
- La crise cardiaque est dangereuse.

فالجملة الأولى تنقل إلى العربية على النحو التالي:

. إن الأزمة الاقتصادية عابرة.

أما الجملة الثانية فتتم ترجمتها باستعمال كلمة أخرى تقابل « crise » فنقول:

. إن النوبة القلبية وخيمة العاقبة.

وهكذا نلاحظ أن الفرنسية تقتضي أن تعبر نفس الكلمة عن شيئين مختلفين في حين أن العربية تستوجب التمييز بين ما هو مادي وما هو حسّي، والسياق هو الفاصل.

3. الزاد المعرفي أو المعلومات المعرفية:

(Le bagage cognitif ou les éléments cognitifs)

لنتأمل الجملة الآتية:

- Le père, la mère, le frère, la sœur, tous sont allés au marché.

لو طلبنا من عدد من الطلبة المترجمين نقل هذه الجملة الفرنسية إلى اللغة العربية للاحظنا أن الأغلبية الساحقة ستقدم لنا جملة في ثوب عربي على النحو التالي:

. إن الأب والأم والأخ والأخت كلهم (أو جميعهم) ذهبوا إلى السوق.

غير أننا، انطلاقاً من أن المترجم في حاجة ماسة إلى المعلومات المعرفية (أي المعلومات المكتسبة من قبل) فقد يأتي مترجم متشبع بالروح الدينية، وقد حفظ القرآن الكريم فيقول: "إن الأب والأم والأخ والأخت كل أولئك ذهب إلى السوق". تأثراً بأسلوب الذكر الحكيم إذ تقول الآية الكريمة: [إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً].¹¹

وهكذا تبدو لنا أهمية المعلومات التي سبق اكتسابها والتي ينبغي توظيفها عند الاقتضاء كما يتبين لنا أن لتكوين المترجم وشخصيته وثقافته دوراً مهماً في انتقاء الأسلوب الذي يبتغيه.

4. بنية نص المصّب وبنية نص المصدر:

قدمنا يوماً لأبنائنا الطلبة نصّاً وردت فيه هذه الجملة:

« L'an dernier, en cette même occasion, j'ai annoncé que je me porterai candidat à la présidence de cette association. »

وطلبنا منهم، بطبيعة الحال، ترجمة النص كله. وما استدعى انتباهنا، على وجه الخصوص، هو نقل الجملة أعلاه على النحو التالي:

"في العام الماضي، وفي نفس المناسبة، أعلنت عن ترشحي لرئاسة هذه الجمعية." فتبين لنا أن نلفت انتباههم إلى أن الترجمة الأمينة لا تعني الاحتفاظ بنفس البنية، فذلك قد يؤدي إلى ركافة الأسلوب. وأوضحنا لهم أن قلب ترتيب أجزاء الجملة الأصلية رأساً على عقب قد يجنبنا أحياناً هذه الركافة. وتمت ترجمة الجملة على النحو التالي:

في مثل هذه المناسبة من العام الماضي أعلنت عن ترشحي لرئاسة هذه الجمعية.

وما استخلصناه من كل هذا، هو أن بنية النص المترجم قد تختلف عن بنية النص الأصلي. فالمهم يكمن في نقل المعنى دونما تشويه.

5. الرجوع إلى الاقتراض:

نودّ منذ البداية أن ننبه المترجم الناشئ إلى ضرورة الابتعاد عن « الاقتراض » كلما تمكّن من ذلك. ولنتأمل في الجملة الآتية:

« Il faut combattre les mécanismes de la dégradation de nos monuments.»

مما لا ريب فيه أن الكثير من أبنائنا سينقلون هذه الجملة على النحو التالي:

علينا أن نتصدى لميكانيزمات تخريب أبنيتنا الأثرية.

إن ما يمكن ملاحظته هو استخدام كلمة "ميكانيزمات"، مقابل « mécanismes »، وهذا ما يعرف بالمفترض المعرّب. وقد ذهب البعض إلى تأكيد أن للاقتراض من اللغات الأجنبية دواعٍ حضريّة، وعدّ هذا الاقتراض غداءً يزيد من حيوية اللغة¹². فهو، حقاً، غداء لو كانت اللغة العربية في حاجة ماسة إلى الإفصاح عن مفاهيم مجهولة. أما عندما يكون المقابل موجوداً، فالرجوع إلى الاقتراض، في نظرنا، ضرب من التنفّج، والمتنفّج هو المعجب بكل ما هو شائع. فاللغة الفرنسية تستعمل « mécanismes ». أما اللغة العربية، فلها، مقابل ذلك، كلمة "آليات"، فلا يجوز في نظرنا، بأي حال من الأحوال أن يتناسى المترجم ما عنده ليلجأ إلى ما عند غيره. وعند استخدامنا الكلمة العربية تصبح الجملة:

علينا أن نتصدى لآليات تخريب أبنيتنا الأثرية.

6. الإضافة والحذف: (le gain et la perte)

كثيراً ما نقرأ في المؤلفات أن هناك إضافة وحذفاً في الترجمة. ترى، ماذا يقصد بالإضافة والحذف؟

لتوضيح ذلك، نلجأ إلى مثالين: الأوّل بالفرنسية والثاني بالعربية.

1. La complémentarité à laquelle aspirent les peuples arabes demeurera le facteur déterminant d'une coopération positive, dans la sécurité, la paix et la prospérité.

2. تتدرج زيارتي في إطار تعزيز أواصر الأخوة والصداقة القائمة بين شعبينا.

لننقل المثال الفرنسي إلى العربية:

. سيظل التكامل الذي تطمح إليه الشعوب العربية العامل الحاسم لتعاون إيجابي في كنف الأمن والسلم والرخاء.

فنحن، في اللغة العربية، اضطررنا اضطرارا، لا اختيارا إلى إضافة عبارة "في كنف" ليستقيم الكلام ويصبح الأسلوب أسلوبا عربيا.

لننتقل الآن إلى المثال الثاني ونترجمه إلى الفرنسية:

- Ma visite s'inscrit dans le cadre du renforcement des liens d'amitié et de fraternité entre nos (deux) peuples.

نلاحظ أننا في اللغة الفرنسية، لم نكن في حاجة إلى أن نقول:

Les liens... établis entre nos deux peuples.

لذلك أسقطنا كلمة "القائمة" (établis) في النص الفرنسي.

وعليه فإنه يمكن لنا أن نؤكد أن المترجم لا يضيف ولا يحذف حسب أهوائه ونزواته، ولكن اللغة المنقول إليها هي التي تفرض عليه ذلك.

وعلينا أن ننبه إلى مسألة لغوية محضة تتمثل في عطف "لن" على "لم".

7. عطف "لن" على "لم":

لا يمكن عطف "لن" على "لم" مباشرة. فلا بد من إعادة ذكر الفعل، نحو: (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار...) ¹³. فنلاحظ أن "لم" الدالة على الماضي و"لن" الدالة على المستقبل لم يكن عطفهما ممكنا إلا بفضل تكرار الفعل "فعل".

فلا يمكن في نظر النحو التقليدي أن نقول "لم ولن تفعلوا" لأن "لم" تقلب معنى المضارع "تفعلوا" إلى الماضي، في حين أن "لن" تخلصه للاستقبال. فلو عطفنا "لن" على "لم" لن يستقيم الكلام في نظر الدراسة التقليدية للسبب المذكور آنفا. ولكننا سنكون معياريين لو جعلنا من هذا الكلام مبدأ وقاعدة. أضف إلى هذا

أن الوظيفيين مضطرون إلى وصف اللغة كما هي مستخدمة اليوم. ونحن، اليوم، نلاحظ كثرة عطف "لن" على "لم" في الصحافة وحتى في الأدب، ومن ذلك قول نجيب محفوظ: "... فمن جهة يعزونه بأن حياته لم ولن تنقطع. ومن ناحية أخرى يذكرونه بأن شخصه يتراجع رويدا عن مركز الاهتمام الذي كان يستأثر به...¹⁴».

وإننا نكاد نسمع ونقرأ يوميا عبارات من نوع "لم ولن نسمح بذلك"، "لم ولن نبقي مكتوفي الأيدي"، ولعلّه يأتي جيل في المستقبل يضرب صفحا عن نظرة النحو التقليدي ويعطف "لن" على "لم" دونما حرج كما يفعل الصحفيون عندنا. ونحن نرى أنه من الأفضل تجنب هذا الأسلوب الرائج في الصحافة.

8. رؤية العالم المختلفة:

لكل أمة رؤيتها الخاصة إلى العالم، فالعرب يعبرون عن الجمال برؤيتهم الخاصة، لذلك تراهم يتحدثون عن جمال فتاة من الفتيات بقولهم: "وجهها كالبدر" لأن البدر عندهم رمز للجمال في حين أنه يكاد أن يكون عند الغربيين رمزا للقبح. فالشمس عند هؤلاء هي رمز الجمال. والشمس لا تظهر إلا في النهار، لذلك تراهم يعبرون عن جمال أي فتاة بقولهم: « Elle est belle comme le jour », ولا يصح للمترجم، بأي حال من الأحوال، أن ينقل هذه العبارة الفرنسية إلى العربية بقوله: "إنها مثل النهار جميلة"، ويمكن القول: إنها مشرقة كالشمس.

9. كلمات لا مقابل لها في اللغة الأخرى:

إن بعض الكلمات قد تكون موجودة في لغة ما ولكن ليس لها مقابل في لغة أخرى وهو ما يسميه البعض بالمحالات الشاغرة (cases vides) أو ما تسميه لوديرير « les vides lexicaux » (الفراغات المعجمية). وتملأ هذه الفراغات المقترضات.

ولنتأمل الجملة الآتية التي يقول فيها ابن خلدون ما يلي:

"فقد ظهر أن الملك غاية للعصبية"¹⁵.

¹⁶(La monarchie est le but de l'esprit de clan)

إن أول ما ينبغي أن ننبه إليه هو أن "العصبية" التي تحدّث عنها ابن خلدون نقلت إلى الفرنسية بعبارات مختلفة نورد بعضها على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر:

« Force vitale d'un peuple – Vitalité de l'état - Prise de conscience nationale – solidarité sociale – Cohésion tribale – Esprit public – Esprit de clan »¹⁷.

فهذه العبارات كلها لا تؤدي المعنى الحقيقي لمفهوم "العصبية" بجميع أبعاده. والواقع أنه يتعذر نقل مفهوم "العصبية" إلى اللغات الأخرى. فليس للعصبية مقابل في اللغة الفرنسية، ولا في اللغة الإنجليزية¹⁸. لذا، فإن دراسة جديدة معمّقة تكون وحدها جديرة بأن تسمح لنا بأن نرى الأمور على حقيقتها وتسمح لنا بالتالي بأن نشقّ الحلقة المفرغة. وقد أصبح البعض يستخدم الافتراض، فيقول:

« El- Acabyya », وهي الطريقة المثلى في هذه الحالة.

ومهما يكن من أمر فإنه يتعيّن على المترجم أن يضع نصب عينيه دائما أن الفرنسية لغة هندية أوروبية تنتمي إلى اللغات اللاتينية، أما العربية فهي لغة سامية تختلف اختلافا كبيرا عن كل اللغات الهندية الأوروبية.

ولا غرو، إذا، أن يجد المترجم مفردات لا مقابل لها في اللغات الأخرى. فلكل لغة مفرداتها وميزاتها الخاصة.

الهوامش

1- انظر: (G.) Mounin, **Les problèmes théoriques de la traduction**, Paris, Gallimard, 1963

2- انظر: (V. Irène) Spilka, **L'ambiguïté**, in **Meta**, N° : 4, Décembre 1981/1v.p. 26

3- انظر: (Jean) Maillot, **Des ambiguïtés françaises**, in **Traduire**, N° : 118, Décembre 1983/IV, p. 10

4- انظر: (G.) Mounin, **Dictionnaire de la linguistique**, Paris, R.U.F, 1974, p. 11

5- انظر: (G.) Mounin, op.cit. p. 11

6- انظر: Ibid

7- انظر: (Jean) Maillot, op.cit, pp. 10-12

8- انظر: (Marianne) Lederer, **La traduction aujourd'hui, le modèle interprétatif**, France, I.M.E, Baume-les-Dames, 1994, p. 211.

9- سورة الحديد، الآية 15

- 10- انظر: 51: (M.) Savary, **Le Koran**, Paris, Editions Garnier Frères, 1960, p. 51.
- 11- سورة الإسراء، الآية 36.
- 12- (رياض) قاسم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العرب، مؤسسة نوفل، 1982، ص 161.
- 13- سورة البقرة، الآية 24.
- 14- محفوظ نجيب، السكرية، القاهرة، دار مصر للطباعة، ص 26.
- 15- العلامة (عبد الرحمن) ابن خلدون، المقدمة (كتاب العبر وديوان المبتدئ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر وهو تاريخ وحيد عصره)، المجلد الأول، الطبعة الثانية، بيروت، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني 1961، ص 246.
- 16- انظر: 169: (A.) Megherbi, **La pensée sociologique d'Ibn Khaldoun**, Alger, SNED, 1971, p. 169.
- 17- نفس المصدر
- 18- المصدر السابق، ص. 158.